OPEN ACCESS
AL-EHSAN
ISSN(E) 2788-4058
ISSN(P) 2410-1834
www.alehsan.gcuf.edu.pk
PP: 242-263

الصحبة وأهميتها عند الصوفياء

Significance of Companionship according to the Sufis

Dr. Shabana Nazar

Assistant Professor, Department of Arabic, Jamia Islamia Bahawalpur

Dr. Abdul Majeed Baghdadi

Assistant Professor, Department of Arabic, Allama Iqbal Open University, Islamabad

Abstract

The Sufi masters are not satisfied with explaining to the people the rulings and etiquette of the Shari'a by theoretical speech, but in addition to that, they take the hand of their disciple, walk him in the paths of promotion, accompany him in all stages of his journey to God Almighty, surround him with their kindness and care. High in their determination and great in their sincerity, they remind him of the message when he forgets; they guide him when he deviates; they inspect him when he misses; and they revitalize him when he lapses. And here we present, in this article, the significance of companionship, benefits, effects, with evidence from the Book and the Sunnah and the sayings of modern scholars.

Keywords: Sufi masters, Shari'a, companionship, modern scholars

المدخل

إن السادة الصوفية لايكتفون بأن يوضحوا للناس أحكام الشرع و آدابه بمجرد الكلام النظرى ولكنهم بالإضافة إلى ذلک يأخذون بيد تلميذهم ويسيرون به فى مدارج الترقى ويرافقونه فى جميع مراحل سيره إلى الله تعالىٰ، يحيطونه برعايتهم و عنايتهم، ويشملونه بعطفهم وحنانهم، ويوجهونه بحالهم وقالهم، وينهضون به بعلو همتهم و عظيم صدقهم، يذكرونه إذا نسى، ويقومونه إذا انحرف، ويتفقدونه إذا غاب، وينشطونه إذا فتر، وهكذا يرسمون له المنهج العملى الذى يمكنه به أن يتحقق بأركان الدين الثلاثة: الإيمان و الإسلام والإحسان.

إن الصوفية أرباب أعمال و أحوال الأرباب دعاوى و أقوال، فما أسهل الكلام و التعليم و ما أصعب العمل والتطبيق!

وها نحن نعرض فى هذا المقال الصحبة و أهميتها وفائدتها و آثارها والدليل عليها من الكتاب والسنةوأقوال العلماء المحدثين فى أهميتها.

أهميّتها

إن للصحبة أثراً عميقاً فى شخصية المرء أخلاقه وسلوكه والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثير الروحى والاقتداء العملى، والإنسان اجتماعى بالطبع لابد أن يخالط الناس ويكون له منهم أخلاء و أصدقاء؛ فان اختارهم من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقه، وانحطت صفاته تدريجياً دون أن يشعر، حتى يصل إلى حضيضهم ويهوى إلى دركهم.

أما اذا اختار صحبة أهل الايمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله تعالىٰ فلا يلبث أن يرتفع الى أوج علاهم، ويكتسب منهم الخلق القويم، والإيمان الراسخ، والصفات العالية، والمعارف الإلهية، ويتحرر من عيوب نفسه، ورعونات خلقه. ولهذا تعرف أخلاق الرجل بمعرفة أصحابه وجلسائه. وقال طرفة بن العبد :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى[1]

وما نال الصحابة رضوان الله عليهم هذا المقام السامى والدرجة الرفيعة بعد أن كانوا فى ظلمات الجاهلية إلا بمصاحبتهم لرسول الله صلى عليه وسلم و مجالستهم له. وما أحرز التابعون هذا الشرف العظيم إلا باجتماعهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبما أن رسالة سيدنا محمد عليه السلام عامة خالدة إلى قيام الساعة، فإن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وراثاً من العلماء العارفين بالله تعالىٰ، ورثوا عن نبيهم العلم والخُلق والإيمان والتقوى، فكانوا خلفاء عنه فى الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله، يقتبسون من نوره ليضيئوا للإنسانية طريق الحق والرشاد، فمن جالسهم سرى إليه من حالهم الذى اقتبسوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن نصرهم فقد نصر الدين، ومن ربط حبله بحبالهم فقد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استقى من هدايتهم وإرشادهم فقد استقى من نبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هؤلاء الوراث هم الذين ينقلون للناس الدين، ممثلاً فى سلوكهم، حياً فى أحوالهم، واضحاً فى حركاتهم وسكناتهم، هم من الذين عنا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

"لاتزال طائفة من أُمتى ظاهرين على الحق لايضرهم ن خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلک" [2]

لاينقطع أثرهم على مر الزمان، ولايخلو منهم قطر. وهؤلاء الوراث المرشدون صحبتهم ترياق مجرب، والبعد عنهم سم قاتل، هم القوم لايشقى بهم جليسهم، مرافقتهم هى العلاج العملى الفعال لاصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، وغرس العقيدة، ورسوخ الإيمان، لأن هذه أمور لاتُنال بقراءة الكتب، ومطالعة الكراريس، انما هى خصال عملية وجدانية، تُقتبس بالاقتداء، وتنال بالاستقاء القلبى و التأثرالروحى۔

ومن ناحية أخرى، فكل انسان لايخلو من أمراض قلبية، وعلل خفية لايدركها بنفسه، كالرياء والنفاق والغرور والحسد، والأنانية وحب الشهرة والظهور، والعجب والكبر والبخل. بل قد يعتقد أنه أكمل الناس خلقاً، و أقومهم ديناً، وهذا هو الجهل المركب، والضلال المبين۔

قال تعالىٰ: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِيْنَ اَعْمَالًا اَلَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعًا)[3]

فكما إن المرء لايرى عيوب وجهه إلا بمرآة صافية مستوية، تكشف له عن حقيقة حاله، فكذلک لابد المؤمن من أخ مؤمن مخلص ناصح صادق، أحسن منه حالاً، وأقوم خُلُقاً، وأقوى إيماناً، يصاحبه ويلازمه، فيريه عيوبه النفسية، ويكشف له عن خفايا أمراضه القلبية إما بقاله أو بحاله۔

ولهذا قال عليه الصلاة السلام: (المؤمن مرآة المؤمن)[4]

علينا أن نلاحظ أن المرايا أنواع وأشكال؛ فمنها الصافية المستوية ومنها الجرباء التى تشوه جمال الوجه، ومنها التى تكبر أو تصغر۔

وهكذا الأصحاب: فمنهم الذى لايريک نفسک على حقيقتها، فيمدحک حتى تظن فى نفسک الكمال، ويدخل عليک الغرور والعجب، أو يذمک حتى تيأس و تقنط من اصلاح نفسک۔

أما المؤمن الكامل فهو المرشد الصادق الذى صقلت مرآته بصحبة مرشد كامل، ورث عن مرشد قبله وهكذا حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المرآة التى جعلها الله تعالى المثل الأعلى للإنسانية الفاضلة؛ قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِىْ رَسُوْلِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْرًا)۔[5]

فالطريق العملى الموصل لتزكية النفوس والتحلى بالكمالات الخلقية هو صحبة الوارث المحمدى والمرشد الصادق الذى تزداد بصحبته إيماناً وتقوى و أخلاقاً، وتشفى بملازمته وحضور مجالسه من أمراضک القلبية وعيوبک النفسية، وتتأثر شخصيتک بشخصيته التى هى صورة عن الشخصية المثالية، شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم۔

ومن هنا يتبين خطأ من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية، و أن يتخلص من علله النفسية، بمجرد قراءة القرآن الكريم، والاطلاع على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم۔ وذلک لأن الكتاب والسنة قد جمعا أنواع الأدوية لمختلف العلل النفسية والقلبية، فلا بد معهما من طبيب يصف لكل داء دواءه ولكل علة علاجها۔[6]

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبب قلوب الصحابة ويزكى نفوسهم بحاله وقاله. فمن ذلک ما حدث مع الصحابي الجليل أبى بن كعب رضى الله عنه قال:

"كنت فى المسجد فدخل رجل فصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فلما قضيا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ، فحسن النبى صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشينى ضرب فى صدرى، ففضت عرقاً، وكأنى أنظر إلى الله عزوجل فرقاً (7)"

ولهذا لم يستطع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطببوا نفوسهم بمجرد قراءة القرآن الكريم، ولكنهم لازموا مستشفى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكان هو المزكى لهم والمشرف على تربيتهم، كما وصفه الله تعالىٰ بقوله:

(هُوَ الَّذِىْ بَعَثَ فِى الْأُمِّيّٖنَ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهٖ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)(8)

فالتزكية شىء، وتعليم القرآن شىء آخر، اذ المراد من قوله تعالىٰ: (يزكيهم) حالة التزكية، ففرق كبير بين علم التزكية وحالة التزكية كما هو الفرق بين علم الصحة و حالة الصحة، والجمع بينهما هو الكمال.

وكم نسمع عن أناس متحيرين يقرأون القرآن الكريم، ويطلعون على العلوم الاسلامية الكثيرة، ويتحدثون عن الوساوس الشيطانية، وهم مع ذلک لا يستطيعون أن يتخلصوا منها فى صلاتهم؟.

فاذا ثبت فى الطب الحديث أن الإنسان لا يستطيع أن يطبب نفسه بنفسه ولو قرأ كتب الطب، بل لابد له من طبيب يكشف خفايا علله، ويطلع على ما عمى عليه من دقائق مرضه، فإن الأمراض القلبية، والعلل النفسية أشد احتياجاً للطبيب المزكى، لأنها أعظم خطراً، وأشد خفاءً وأكثر دقة.

و لهذا كان من المفيد عملياً تزكية النفس والتخلص من عللها على يد مرشد كامل مأذون بالإرشاد، قد ورث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والتقوى و أهلية التزكية والتوجيه.

أهمية الصحبة من كتاب الله تعالى:

قال تعالى: (يَآ اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ)(9)

والصادقون: هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله بقوله: (مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ)(10)

قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهٗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيْدُ زِيْنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَه عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ اَمْرُه فُرُطًا)[11]

الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبيل تعليم أمته و إرشادها. وقال تعالى: (وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ اَنَابَ اِلَيَّ)[12] وقال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلٰى يَدَيْهِ يَقُوْلُ يٰلَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُوْلِ سَبِيْلًا يٰوَيْلَتٰى لَيْتَنِىْ لَمْ اَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيْلًا لَّقَدْ اَضَلَّنِىْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ اِذْ جَآءَنِىْ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْاِنْسَانِ خَذُوْلًا)[13] وقال تعالى: (اَلْاَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ اِلَّا الْمُتَّقِيْ)[14] و (ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ ۚ اَلرَّحْمٰنُ فَاسْاَلْ بِه خَبِيْرًا)[15]

وقال تعالىٰ حاكياً على لسان سيدنا موسى عليه السلام حين التقى بالخضر عليه السلام بعد عزم صادق، وعناء طويل وسفر شاق: (هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلٰٓى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا،قَالَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِىَ صَبْرًا)[16]

أهمية الصحبة من الأحاديث الشريفة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما ان يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخُ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة)[17]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: يا رسول الله أى جلسائنا خير؟ قال: (من ذكر الله رؤيتُه، وزاد فى عملكم منطقه، وذكركم فى الآخرة عملُه).[18]

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[19]

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولاشهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله فخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابُوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)[20]

عن أبى ذر رضى الله عنه قلت: يا رسول الله؛ الرجل يحب القوم ولايستطيع أن يعمل عملهم؟ قال: (أنت يا أبا ذرمع من أحببت)[21]

عن حنظلة رضى الله عنه قال: لقينى أبو بكر رضى الله عنه، فقال كيف أنت باحنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله، ما تقول؟ ! قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأناً رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج

والأولاد والضيعات نسينا كثيراً۔ قال أبو بكر رضى الله عنه: (فوالله إنا لنلقى مثل هذا)۔ فانطلقت أنا و أبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عله وسلم: فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وماذالک،) قلت: يا رسول الله نكون عندک تذكرنا بالنار والجنة كأنها رأى العين، فإذا خرجنا من عندک عافسنا الأزواج والضيعات، نسينا كثيراً۔ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم و فى طرقكم، لكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات)۔[22]

إن هذه الأحاديث السالفة الذكر وكثيراً غيرها تُبين بمجموعها أهمية الصحبة، وأثرها فى النفوس، و أنها السبيل العملى للاصلاح والتربية۔

ولاسيما حديث حنظلة الذي يظهر بوضوح كيف كانت مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشع فى القلوب أنوار اليقين، وتزكى فى النفوس جذوة الايمان، وترتفع بالأرواح إلى مستوى ملائكى أقدس، وتطهر القلوب من أدران المادة، وتسمو بالإيمان الى مستوى المراقبة والشهود۔

وهكذا مجالسة وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتهم، تزكى النفوس، وتزيد الايمان، وتوقظ القلوب وتذكر بالله تعالىٰ۔ والبعد عنهم يورث الغفلة، وانشغال القلب بالدنيا، وميله إلى متع الحياة الزائلة۔

أقوال الفقهاء والمحدثين فى أهمية الصحبة وآدآبها

ابن حجر الهيثمى

يقول الشيخ الفقيه المحدث أحمد شهابُ الدين بن حجر الهيثمى المكى فى كتابه الفتاوى الحديثية: (والحاصل أن الأولى بالسالک قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع الطرفى الشريعة والحقيقة، فانه هو الطبيب الأعظم، بمقتضى معارفه الذوقية و حكمه الربانية، يُعطى كل بدن و نفس ما يراه هو الائق بشفائها والمصلح لغذائها)[23]

الإمام فخر الدين الرازى

قال الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره المشهور عند تفسير سورة الفاتحة: (الباب الثالث فى الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة (الفاتحة) فيه مسائل۔۔۔ اللطيفة الثالثة: قال بعضهم: إنه لما قال: (اهدنا الصراط المستقيم) لم يقتصر عليه بل قال: (صراط الذين أنعمت عليهم) وهذا يدل على أن المريد لاسبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء السبيل، ويجنبه عن مواقع الأغاليط والأضاليل، وذلک لأن النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراک الحق و تمييز الصواب عن الغلط، فلابد من كامل يقتدى به الناقص حتى يتقوى عقل ذلک الناقص بنور الكامل، فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات و معارج الكمالات۔[24]

الشيخ ابراهيم الباجورى

قال شیخ الاسلام الشیخ ابراهیم الباجوری الشافعی عند شرحه کلام الشیخ ابراهیم اللقانی صاحب جوهرة التوحید:

وکن کما کان خیار الخلق حلیف حلم تابعاً للحق

أی کن متصفاً بأخلاق مثل التی کان علیها کان علیها خیار الخلق --- الی أن قال: واذا کانت المجاهدة علی ید شیخ من العارفین کانت أنفع، لقولهم: حال رجل فی ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فی رجل. فینبغی للشخص أن یلزم شیخاً عارفاً علی الکتاب، والسنة، بأن یزنه قبل الأخذ عنه فان وجده علی الکتاب والسنة لازمه، و تأدب معه، فعساه یکتسب من حاله ما یکون به صفاء باطنه، والله یتولی هداه۔[25]

ابن أبی جمرة

شرح الإمام الحافظ المحدث الورع أبو محمد عبد الله بن أبی جمرة الأزدی الأندلسی حدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم: عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما، قال: (جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه وسلم، فاستأذنه فی الجهاد فقال: أ حی والداک؟ قال نعم. قال: ففیهما فجاهد) وبعد أن شرحه بین عشرة وجوه له، قال فی الوجه العاشر:

(فیه دلیل علی أن الدخول فی السلوک والمجاهدات، والسنة فیه أن یکون علی ید عارف به، فیرشد إلی ماهو الأصلح فیه، والأسد بالنسبة إلی حال السالک لأن هذا الصحابی رضی الله عنه لما أن أراد الخروج الی الجهاد لم یستبد برأی نفسه فی ذلک حتی استشار من هو أعلم منه و أعرف، هذا ما هو فی الجهاد الأصغر فکیف به فی الجهاد الأکبر؟۔[26]

ابن قیم الجوزیة

قال الحافظ أبو عبدالله محمد الشهیر بابن القیم: فإذا أراد العبد أن یقتدی برجل، فلینظر هل هو من أهل الذکر أو من الغافلین، وهل الحاکم علیه الهوی أو الوحی؟ فاذا کان الحاکم علیه هو الهوی، وهو من أهل الغفلة کان أمره فرطا--- إلی أن قال: فینبغی للرجل أن ینظر فی شیخه وقدوته و متبوعه، فإن وجده کذلک فلیبعد منه، وإن وجده ممن غلب علیه ذکر الله تعالی، واتباع السنة، وأمره غیر مفروط علیه، بل هو حازم فی أمره، فلیستمسک بغرزه۔[27]

عبد الواحد بن عاشر

قال الفقیه المالکی عبد الواحد بن عاشر فی منظومة العقائد و عبادات فقه مالک المسماة(المرشد المعین) مبیناً ضرورة صحبة الشیخ المرشد و ما تنتج من آثار طیبة:

يصحب شيخاً عارف المسالک
يُذْكره الله اذا رآه
يحاسب النفس على الأنفاس
ويحفظ المفروض رأس المال
ويُكثرُ الذكر بصفو لُبه
يجاهد النفس لرب العالمين
يصير عند ذاک عارفاً به
فحبه الاله و اصطفاه

يقيه فى طريقه المهالک
ويوصل العبد الى مولاه
ويزن الخاطر بالقسطاس
والنفلُ ربحُه به يوالى
والعون فى جميع ذا بربه
ويتحلى بمقامات اليقين
حراً، وغيره خَلا من قلبه
لحضرة القدوس واجتباه

قال شارح هذه المنظومة الشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافى فى كتابه النور المبين على المرشد المعين: "إن من نتائج صحبة الشيخ السالک، ما يحصل لمريده من أنه يذكره الله ؛ أى يكون سبباً قوياً فى ذكر المريد ربه إذا رأى الشيخ لما عليه من المهابة التى ألبسه الله إياها، ويشهد لذلک ما أخرجه الحاكم عن أنس رضى الله عنه: (أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالىٰ لرؤيتهم).

ومن ثمرة صحبة هذا الشيخ السالک أيضاً أنه يوصل العبد إلى مولاه بسبب ما يريه من عيوب نفسه، ونصحه بالهروب من غير الله إلى الله تعالىٰ فلا يرى لنفسه ولا لمخلوق نفعاً ولاضراً، ولايركن لمخلوق فى دفع أو جلب، بل يرى جميع الانقلابات و التصرفات فى الحركات والسكنات لله تعالىٰ، وهذا معنى الوصول إلى الله تعالى.

ففائدة الشيخ مع المريد هى إظهار العيوب القاطعة عن الله تعالىٰ للمريد، فيشخصها له، ويريه دواءها. ولايتم هذا إلا مع مريد صادق ألقى مقاليد نفسه لشيخه، وألزم نفسه ألا يكتم خاطراً ما عن شيخه و أما إذا كتمه ولو واحداً فلا ينتفع بشيخه البتة"[28]

الطيبى صاحب حاشية الكشاف

قال الطيبى: (لا ينبغى للعالم - ولو تبحر فى العلم حتى صار واحد أهل زمانه- أن يقتنع بما علمه، و إنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم، حتى يكون ممن يحدثهم الحق فى سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، ويخلُص من الأدناس، وأن يجتنب ماشاب علمه من كدوارت الهوى و حظوظ نفسه الأمارة بالسوء، حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوة؛ ولايتيسر ذلک عادة الا على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس، وتطهيرها من النجاسات المعنوية، وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً، ليخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية. فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الانسان شيخاً له، يرشده الى زوال تلک الصفات التى تمنعه من دخول حضرة الله بقلبه، ليصح حضوره و خشوعه فى سائر العبادات، من باب ما لا يتم

الواجب الا به فهو واجب، ولاشک أن علاج أمراض الباطن واجب فيجب على كل من غلبت عليه الأمراض أن يطلب شيخاً يخرجه من كل ورطة، وان لم يجد فى بلده أو اقليمه وجب عليه السفر اليه۔[29]

أقوال العارفين بالله من رجال التصوف فى فائدة الصحبة و آدابها

إن السادة الصوفية هم أحرص الناص على حياة تعبدية خالصة، تقوم أسسها على السمع والطاعة، والاذعان لنصيحة ناصح، أو توجيه مرشد فنشأت بينهم تلک المدارس الروحية التى قامت على أعظم أساليب التربية والتقويم، و أقوى صلات لاروح بين الشيخ والمريد۔

ولذا يوصى العارفون بالله تعالىٰ كل من أراد سلوک طريق الحق الموصل الى معرفة الله ورضاه بالصُحبة، و روحُها الاعتقاد والتصديق بهؤلاء المرشدين الدالين على الله تعالىٰ، الموصلين إلى حضرته القدوسية۔

أبو حامد الغزالى

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالىٰ: (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام)[30] وقال رحمه الله: (كنت فى مبدأ أمرى منكراً لأحوال الصالحين، ومقامات العارفين، حتى صحبت شيخى(يوسف النساج) فلم يزل يصقلنى بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات، فرأيت الله تعالىٰ فى المنام، فقال لى:يا أبا حامد، دع شواغلک، وأصحب أقواماً جعلتُهم فى أرضى محل نظرى، وهم الذين باعوا الدارين بحبى، قلت: بعزتک إلا أذقتنى برد حسن الظن بهم، قال: قد فعلتُ، والقاطع بينک وبينهم تشاغُلُک بحب الدنيا، فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً، فقد أفصتُ عليک أنواراً من جوار قدسى، فاستيقظتُ فرحاً مسروراً وجئت الى شيخى (يوسف النساج) فقصصت عليه المنام، فتبسم وقال يا أبا حامد هذه ألواحنا فى البداية، بطل ان صحبتنى ستكحل بصيرتک باثمد التأييد۔۔۔ ألخ۔[31]

وقال أيضاً: مما يجب فى حق السالک طريق الحق أن يكون له مرشد ومرب ليدله على الطريق ويرفع عنه الأخلاق المذمومة ويضع مكانها الأخلاق المحمودة، ومعنى التربية أن يكون المربى كالزارع الذى يربى الزرع، فكلما رأى حجراً أو نباتاً مضراً بالزرع قلعه وطرحه خارجاً، ويسقى الزرع مراراً إلى أن ينمو ويتربى، ليكون أحسن من غيره؛ وإذا علمت أن الزرع محتاج للمربى علمت أنه لابد للسالک من مرشد البتة، لأن الله تعالىٰ أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلاً لهم، ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم؛ وقبل انتقال المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نواباً عنه ليدلوا الخلوق إلى طريق الله؛ وهكذا إلى يوم القيامة، فالسالک لايستغنى عن المرشد البتة[32] ومن قوله : يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإن السبيل الدين غامض ، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة

فمن لم يكن له شيخ يهديه ، قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة . فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب، وإن يقيت مدة و أورقت لم تثمر، فمعتصم المريد شيخُه، فليتمسک به۔[33]

ويقول الإمام الغزالى: إن الله عزوجل اذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولايرى الجذع فى عين نفسه، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق:

منها: أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات، ويحكمه فى نفسه، ويتبع إشارته فى مجاهداته، وهذا شأن المريد مع شيخه، والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه و شيخه عيوب نفسه، ويعرفه طريق علاجها۔۔ إلخ۔[34]

الأمير عبد القادر الجزائرى

قال الأمير العارف بالله عبدالقادر الجزائرى فى كتابه "المواقف": الموقف المائة والواحد والخمسون: قال الله تعالىٰ حاكياً قول موسى لخضر عليهما السلام: (هل أتبعک على أن تعلمن مما علمت رشداً): إعلم أن المريد لاينتفع بعلوم الشيخ و أحواله إلا إذا انقاد له الانقياد التام، ووقف عند أمره ونهيه، مع اعتقاده الأفضلية والأكملية، ولايغنى أحدهما عن الآخر، كحال بعض الناس يعتقد فى الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلک يكفيه فى نيل غرضه، وحصول مطلبه، وهو غير ممتثل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به، أو ينهاه عنه، فهذا موسى عليه السلام، مع جلالة قدره و فخامة أمره، طلب لقاء الخضر عليه السلام وسأل السبيل إلى لُقيه، وتجشم مشاق و متاعب فى سفره، كما قال: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ومع هذا كله لما لم يمتثل نهياً واحداً وهو قوله: (فلا تسألنى عن شى ء حتى أُحدث لک منه ذكراً) ما انتفع بعلوم الخضر عليه السلام، مع يقين موسى عليه السلام الجازم أن الخضر أعلم منه بشهادة الله تعالى،لقوله تعالىٰ عندما قال موسى عليه السلام: لا أعلم أحداً أعلم منى :(بلى عبدنا خضر) وما خص علماً دون علم، بل عمم۔

وكان موسى عليه السلام أولاً ما علم أن استعداده لا يقبل شيئاً من علوم خضر عليه السلام۔ وأما خضر عليه السلام، فإنه علم ذلک أول وهلة فقال: (انک لن تستطيع معي صبراً)۔ وهذا من شواهد علمية الخضر عليه السلام فلينظر العاقل إلى أدب هذين السيدين۔

قال موسى عليه السلام: (هل اتبعک على أن تعلمن مما علمت رشداً) أى: هل تأذن فى اتباعک، لأتعلم منک؟ ففنى هذه الكلمات من حلاوة الأدب ما يذوقها كل سليم الذوق۔

وقال خضر عليه السلام: "فان اتبعتنى فلا تسألى عن شىء حتى أحدث لک منه ذكراً " وما قال: فلا تسألنى، وسكت، فيبقى موسى عليه

السلام حيران متعطشاً، بل وعده أنه يحدث له ذكراً، أى: علماً بالحكمة فيما فعل، أو ذكراً بمعنى:تذكراً۔

فأكملية الشيخ فى العلم المطلوب منه المقصود لأجله لاتغنى عن المريد شيئاً، إذالم يكن ممتثلاً لأوامر الشيخ، مجتنباً لنواهيه۔

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة [35]

وإنما تنفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة إلى المقصود، وإلا فالشيخ لايعطى المريد إلا ما أعطاه له استعداده، واستعداده مُنطو فيه وفى أعماله، كالطبيب الماهر إذا حضر المريض و أمره بأدوية فلم يستعملها المريض، فما عسى أن تغنى عنه مهارة الطبيب؟ وعدم امتثال المريض دليل على أن الله تعالىٰ ما أراد شفاءه من علته، فإن الله إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه۔ وإنما وجب على المريد طلب الأكمل الأفضل من المشايخ خشية أن يلقى قياده بيد جاهل باطريق الموصل إلى المقصود، فيكون ذلک عوناً على هلاكه۔[36]

ابن عطاء الله السكندرى

يقول ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه: وينبغى لمن عزم على الاسترشاد، وسلوک طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق، سالک للطريق، تارک لهواه، راسخ القدم فى خدمة مولاه فإذا وجده فليمتثل ما أمر، ولينته عما نهى عنه وزجر۔[37]

وقال أيضاً: ليس شيخک من سمعت منه، وإنما شيخک من أخذت عند، وليس شيخک من واجهتک عبارته، وإنما الشيخ الذى سرت فيک إشارته، وليس الشيخ من دعاک إلى الباب، إنما شيخ الذى رفع بينک وبينه الحجاب، وليس شيخک من واجهک مقاله، إنما شيخک الذى نهض بک حاله۔

شيخک هو الذى أخرجک من سجن الهوى، ودخل بک على المولى۔

شيخ هو الذى مازال يجلو مرآة قلبک، حتى تجلت فيها أنوار ربک، أنهضک إلى الله فنهضت إليه، وسار بک حتى وصلت إليه، وما زال معاذياً لک حتى ألقاک بين يديه، فزج بک فى ثورة الحضرة وقال: ها أنت وربک۔[38]

وقال أيضاً: لاتصحب من لاينهضک حاله، ولايدلک على الله مقاله،[39]

الشيخ عبدالكريم الجيلى

ويقول صاحب العينية سيدى عبدالكريم الجيلى قدس الله سره:

وإن ساعد المقدور أو ساقک القضا
فقم فی رضاه، واتبع لمراده
ولاتعترض فیما جهلت من امره
ففی قصه الخضر الکریم کفایة
فلما أضاء الصبح عن لیل سره
أقام له العذر الکلیمُ وانه

إلی شیخ حق، فی الحقیقة بارعُ
ودع کل ما من قبل کنت تسارع
علیه، فإن الاعتراض تنازع
بقتل غلام، والکلیم یدافع
وسل حساماً للغیاهب قاطع
کذلک علم القوم، فیه بدائع(40)

الشیخ عبدالوهاب الشعرانی

قال العالم الربانی الشیخ عبدالوهاب الشعرانی فی کتابه العهود المحمدیة: أُخذ علینا العهد العام من رسول الله صلی الله علیه وسلم أن نواظب علی الرکعتین بعد کل وضوء، بشرط ألاَ نحدث فیهما أنفسنا بشیئ من أمور الدنیا، أو بشئی لم یُشرع لنا فی الصلاة. ویحتاج من یرید العمل بهذا العهد إلی شیخ یسلک به، حتی یقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالیٰ. ثم قال: فاسلک یا أخی علی ید شیخ ناصح، یشغلک بالله تعالی، حتی یقطع عنک حدیث النفس فی الصلاة کقولک: أروحُ لکذا أفعل کذا قول کذا، أو نحو ذلک، و إلا فمن لازمک حدیث النفس فی الصلاة، ولایکاد یسلم لک منه صلاة واحدة، لافرض ولانفل، فاعلم ذلک، و إیاک أن ترید الوصول إلی ذلک بغیر شیخ، کما علیه طائفة المجادلین بغیر علم، فإن ذلک لا یصح لک أبداً.(41)

وقال الشیخ الشعرانی أیضاً: وکانت صور مجاهداتی لنفسی من غیر شیخ أننی کنت أطالع کتب القوم کرسالة القشیری، وعوارف المعارف، والقوت لأبی طالب المکی والإحیاء للغزالی، ونحو ذلک، و أعمل بما ینقدح لی من طریق الفهم، ثم بعد مدة یبدو لی خلاف ذلک فأترک الأمر الأول و أعمل بالثانی. وهکذا، فکنت کالذی یدخل دربأ لا یدری هل ینفذ أم لا؟ فإن رآه نافذاً خرج منه، و إلا رجع، ولو أنه اجتمع بمن یعرفه أمر الدرب قبل دخوله لکان بین له أمره و أراحه من التعب، فهذا مثال من لاشیخ له. فإن فائدة الشیخ إنما هی اختصار الطریق للمرید، ومن سلک من غیر شیخ تاه، وقطع عمره ولم یصل إلی مقصوده، لأن مثال الشیخ مثال دلیل الحجاج إلی مکة فی اللیالی المظلمة.(42)

وقال أیضاً:''ولو أن طریق القوم یوصل الیها بالفهم من غیر شیخ یسیر بالطالب فیها لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالی والشیخ عز الدین بن عبد السلام أخذ أدبهما عن شیخ مع أنهما کانا یقولأن قبل دخولهما طریق القوم: کل من قال: إن ثم طریقاً للعلم غیر ما بأیدینا فقد افتری علی الله عزوجل. فلما دخلا طریق القوم کانا یقولان: قد ضیعنا عمرنا فی البطالة والحجاب. وأثبتا طریق القوم و مدحاها''(43)

ثم قال:''وكفى شرفاً لأهل الطريق قول السيد موسى عليه السلام للخضر (هل اتبعک على أن تعلمن مما علمت رشداً)۔ و اعتراف الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه و أرضاه لأبى حمزة البغدادى بالفضل عليه، واعتراف الإمام أحمد بن سريج رحمه الله لأبى القاسم الجنيد، وطلب الإمام الغزالى له شيخاً يدله على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام، وكذلک طلب الشيخ عز الدين بن عبدالسلام له شيخاً مع أنه لقب بسلطان العلماء۔۔ وكان رضى الله عنه يقول: ماعرفت الإسلام الكامل لا بعد اجتماعى على الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه، فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثا لنا من باب أولى۔[44]

أبو على الثقفى

قال أبو على الثقفى: ''لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدب ناصح۔ ومن لم يأخذ أدبه عن آمر له وناه، يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات۔[45]

أبو مدين

وقال أبو مدين رضى الله عنه:''من لم يأخذ الآداب من المتأدبين، أفسد من يتبعه۔[46]

الشيخ أحمد زروق

قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله فى قواعده: ''أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه دونهم (بَلْ هُوَ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِىْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ)[47]، (وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ اَنَابَ اِلَىَّ)[48]، فلزمت المشيخة، سيما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة والسلام، وقد أخذ هو عن جبريل، واتبع إشارته فى أن يكون عبداً نبياً، وأخذ التابعون عن الصحابة۔ فكان لكل أتباع يختصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج فى أبى هريرة، وطاوس ووهب ومجاهد لابن عباس، إلى غير ذلک۔ فأما العلم والعمل فأخذه جلى فيما ذكروا كما ذكروا۔

وأما الإفادة بالهمة والحال، فقد أشار اليها انس بقوله: ''مانفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرنا قلوبنا''[49] فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم في قلوبهم ، إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، فلذلک أمر بصحبة الصالحين، ونهى عن صحبة الفاسقين۔[50]

على الخواص

وقال سیدی علی الخواص رضی الله عنه:

لاتسلکن طریقاً لست تعرفها بلا دلیل فتهوی فی مهاویها[51]

لأن الدلیل والمرشد یوصل السالک إلی ساحل الأمان ویجنبه مزالق الأقدام ومخاطر الطریق، وذلک لأن هذا الدلیل المرشد قد سبق له سلوک الطریق علی ید دلیل عارف بخفایا السیر، مطلع علی مجاهله ومآمنه، فلم یزل مرافقاً له، حتی أوصله إلی الغایة المنشودة، ثم أذن له بإرشاد غیره، وإلی هذا أشار ابن البنا فی منظومته:

وانما القومُ مُسافرونا لحضرة الحق و ظاعنونا
فافتقروا فیه الی دلیل ذی بصر بالسیر والمقیل
قد سلک الطریق ثم عاد لیُخبر القوم بما استفاد[52]

الشیخ محمد الهاشمی

قال الشیخ الکبیر مربی العارفین والدال علی الله محمد الهاشمی رحمه الله تعالیٰ:

''فاسلک یا أخی علی ید شیخ حی عارف بالله، صادق ناصح، له علم صحیح، و ذوق صریح، وهمة عالیة، وحالة مرضیة، سلک الطریق علی ید المرشدین، و أخذ أدبه عن المتأدبین، عارف بالمسالک، لیقیک فی طریقک المهالک، ویدلک علی الجمع علی الله، ویعلمک الفرار من سوی الله، و یسارک فی طریقک حتی تصل إلی الله، یوقفک علی إساءة نفسک، ویعرفک بإحسان الله الیک، فإذا عرفته أحببته، وإذا أحببته جاهدت فیه، وإذا جاهدت فیه هداک لطریقه، واصطفاک لحضرته، قال تعالی: (والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا)۔[53]

فصحبة الشیخ والاقتداء به واجب، والأصل فیه قوله تعالی (واتبع سبیل من أناب إلی)[54] وقوله تعالی:(یٰٓاَیُّـهَا الَّـذِیْنَ اٰمَنُـوا اتَّقُوا اللهَ وَکُـوْنُـوْا مَعَ الصّٰـدِقِیْنَ)[55]۔

ومن شرطه أیضاً أن یکون له الإذن فی تربیة الخلق من مرشد کامل ذی بصیرة نافذة، ولایقال أین من هذا وصفه؟ لأنا نقول کما قال ابن عطاء الله السکندری فی لطائف المنن: (لایُعوزک وجود الدالین، وإنما یعوز وجود الصدق فی طلبهم)۔ جد صدقاً تجد مرشداً۔

لکن سر الله فی صدق الطلب کم رٰی ء [56] فی أصحابه من العجب

وقال فی لطائف المنن أیضاً: إنما یکون الاقتداء بولی دلک الله علیه، وأطلعک علی ما أودعه من الخصوصیة لدیه، فطوی عنک شهود

بشريته فى وجود خصوصيته، فألقيت اليه القياد، فسلک بک سبيل الرشاد۔۔۔ الخ۔

وقال ابن عطاء الله فى حكمه: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله اليه)۔(57)

خلاصة البحث

إن للصحبة أثر عميق فى شخصية المرء أخلاقه وسلوكه والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثير الروحى والاقتداء العملى، والإنسان اجتماعى بالطبع لابد أن يخالط الناس ويكون له منهم أخلاء و أصدقاء؛ فإن اختارهم من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقه، وانحطت صفاته تدريجياً دون أن يشعر، حتى يصل إلى حضيضهم ويهوى إلى دركهم۔ و إذا اختار صحبة أهل الايمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله تعالىٰ فلا يلبث أن يرتفع إلى أوج علاهم، ويكتسب منهم الخلق القويم، والإيمان الراسخ، والصفات العالية.

وما نال الصحابة رضوان الله عليهم هذا المقام السامى والدرجة الرفيعة بعد أن كانوا فى ظلمات الجاهلية إلا بمصاحبتهم لرسول الله صلى عليه وسلم و مجالستهم له۔ وما أحرز التابعون هذا الشرف العظيم إلا باجتماعهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم۔ وبما أن رسالة سيدنا محمد عليه السلام عامة خالدة إلى قيام الساعة، فإن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورأثاً من العلماء العارفين بالله تعالىٰ، ورثوا عن نبيهم العلم والخُلق والإيمان والتقوى، فكانوا خلفاء عنه فى الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله، يقتبسون من نوره ليضيئوا للانسانية طريق الحق والرشاد، فمن جالسهم سرى إليه من حالهم الذى اقتبسوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم۔ ومن نصرهم فقد نصر الدين، ومن ربط حبله بحبالهم فقد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استقى من هدايتهم وإرشادهم فقد استقى من نبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المصادر و الحواش

[1] ديوان ، تجارب الحياة، ص: 75، مكتبة علمية، بيروت.

[2] ۔ أخرجه مسلم فی صحيحه فی كتاب الأمارة، و أخرجه البخاری فی صحيحه فی كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بلفظ آخر، وأخرجه الترمذی فی كتاب الفتن، وابن ماجه فی كتاب السنة۔

[3] ۔ سورة الكهف آية ۱۰۳، ۱۰۴

[4] ۔ رواه أبو داود عن ابی هريرة رضی الله عنه۔ ورواه البخاری، فی الأدب المفرد وقال الزين العراقی: أسناد حسن فيض القدير ج۶ ص ۲۵۲

[5] ۔ سورة الأحزاب آية ۲۱

[6] ۔ تسرع بعض القراء ففهم هذه العبارة على غير مرادها، وظن أننا نقصنا من أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وزهدًنا فی تلاوتهما، والحقيقة أن رجال التصوف هم أكثر الناس تعظيماً لهما وتمسكاً بهما۔
ففی عبارة: (بمجرد قراءة القرآن الكريم) بيان الى أنه لا يكفی الاقتصار على قراءة القرآن الكريم والسنة الشريفة بل لابد أيضاً من الفهم والعمل، ومن المعلوم أن الكتاب والسنة يدعوان للصحبة الصالحة كما سنو ضحه فی بحث (الدليل على أهمية الصحبة من الكتاب السنة)۔
وفی عبارة: (فلا بد معهما۔۔۔) تصريح واضح بلزوم قراءة القرآن الكريم والسنة الشريفة، ثم يضاف الى ذلک صحبة المرشدين الذين يزكون النفوس ويحضون الناس على قراءة وتطبيق الكتاب والسنة۔

[7] ۔ أخرجه مسلم فی صحيحه فی باب بيان نزول القراان على سبعة أحرف

[8] ۔ سورة الجمعة آية۲

[9] ۔ سورة التوبة آية ۱۱۹

[10] ۔ سورة الأحزاب آية ۲۳

[11] ۔ سورة الكهف آية ۲۸

[12] ۔ سورة لقمان آية ۱۵

[13] ۔ سورة الفرقان آية ۲۹،۲۸،۲۷

[14] ۔ سورة الزخرف آية ۶۷

[15] ۔ سورة الفرقان آية ۵۹

[16] ۔ سورة الكهف آية ۶۶-۶۷

[17] ۔ رواه البخاری فی صحيحه فی كتاب الذبائح ومسلم فی كتاب البر والصلة عن أبی موسى الأشعری رضی الله عنه۔

[18] ۔ رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٢٦

[19] ۔ رواه أبو داود الترمذى فى كتاب الزهد وقال حديث حسن غريب

[20] ۔ رواه أبوداود

[21] ۔ رواه مسلم فى صحيحة فى كتاب التوبة۔ ومعنى عافسنا: عالجنا ولاعبنا؛ والضيعات: جمع ضيعة وهو معاش الرجل من مال أو حرفة أوصناعة۔

[22] ۔ رواه أبو داود

[23] ۔ للمحدث أحمد بن حجر الهيثمى الفتاوى الحديثية ص ٥٥ المكى توفى سنة ٩٧٤هـ۔

[24] ۔ للامام فخر الدين الرازى تفسير مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير ج ١ ص ١٤٢

[25] ۔ والشيخ ابراهيم الباجورى شرح الجوهرة للباجورى ص ١٣٣، شيخ الأزهر فى عصره وهو من العلماء الأعلام ومن المحققين فى المذهب الشافعى توفى عام ١٢٧٧هـ

[26] ۔ أبى جمرة، بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخارى لابن المتوفى سنة ٦٩٩هـ۔ج٣، ص ١٤٦

[27] ۔ بن القيم الجوزية الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٥٣ لا المتوفى سنة ٧٥١هـ۔

[28] ۔ النور المبين على المرشد المعين ص ١٧٨

[29] ۔ العلامة الشيخ أمين الكردى الشافعى تنوير القلوب ص ٤٤۔٤٥

[30] ۔ ابن عجيبة شرح الحكم ج ١ ص ٧

[31] ۔ عبدالباقى سرور شخصيات صوفيه لطه ص ١٥٤، توفى سنة ١٣٨٢هـ بمصر

[32] ۔ حجة الاسلام الغزالى خلاصة التصانيف فى التصوف ص ١٨، توفى سنة ٥٠٥هـ فى بغداد

[33] ۔ الاحياء ج٣ ص ٦٥

[34] ۔ الاحياء ج ٣ ص ٥٥

[35] ۔ جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (33 هـ - 110 هـ/ 653 - 728 م) شاعرُ من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد، ديوانه، ص: 324، مكبتة علمية، بيروت.

[36] ۔ المواقف ج ١ ص ٣٠٥ والأمير عبدالقادر الجزائرى المجاهد الكبير الذي جاهد الافرنسيين الطغاة، ووقف سداً منيعاً أمام الاستعمار الافرنسى سبعة عشر عاماً مجاهداً ومناضلاً أشهر من أن يعرف۔

[37] ۔ مفتاح الفلاح ص ۳۰

[38] ۔ لطائف المنن ص ۱۶۷

[39] ۔ ابن عطاء الله السكندرى، ايقاظ الهمم فى شرح حكم المتوفى سنة ۷۰۹ھ لأحمد بن عجيبه الحسنى ج ۱ ص ۷۴

[40] ۔ الجيلى، فتوح الغيب من قصيدة تسمى 'النوادر العينية فى البوادر الغيبية، فى ۵۳۴ بيتاً ص ۲۰۱

[41] ۔ عبدالوهاب الشعرانى، لواقع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية للعارف بالله، ج ۱ ص ۵۱ توفى رضى الله عنه سنة ۹۷۳ فى مصر۔

[42] ۔ الامام الشعرانى، لطائف المنن والأخلاق ج ۱ ص ۴۸-۴۹۔

[43] ۔ الامام الشعرانى، لطائف المنن والأخلاق ج ۱ ص ۲۵

[44] ۔ الامام الشعرانى، لطائف المنن والأخلاق ج ۱ ص ۵۰

[45] ۔ السلمى ، طبقات الصوفية ص ۳۶۵

[46] ۔ النصرة النبوية ص ۱۳

[47] ۔ سورة العنكبوت آية ۴۹

[48] ۔ سورة لقمان آية ۱۵

[49] ۔ رواه الامام أحمد وابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن صحيح غريب ولفظه عن أنس رضى الله عنه قال: "لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أضاء منها كل شئ ء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء، وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وسلم الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا۔

[50] ۔ أحمد زروق، قواعد التصوف القاعدة ۶۵

[51] ۔ الشعرانى، المنن ج۱ ص ۵۱

[52] ۔ أحمد بن محمد التجيبى المعروف بابن البنا، الفتوحات الالهية شرح المباحث الاصلية ج ۱ ص ۱۴۲

[53] ۔ سورة العنكبوت آية ۶۹

[54] ۔ سورة القمان آية ۱۵

[55] ۔ سورة التوبة آية ۱۱۹

[56] ۔ على وزن (قيل) مبنى للمجهول

[57] ۔ الشيخ محمد الهاشمى التلمسانى، شرح شطرنج العارفين ص ۱۴